دراسات إفريقية

مركز البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة إفريقيا العالمية
IUA

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد

- الكنائس المحلية والسلام في السودان
  أ.د. إبراهيم عكاشة
- الهجرات العربية إلى بلاد النوبة والسودان الشرقي وآثارها الاجتماعية
  د. ربيع محمد القمر
- جهود الشيخ عبدالله بن فودي التعليمية في نظم العلوم العربية والإسلامية
  د. عمر أحمد سعيد
- الآثار والتنمية السياحية في السودان
  د. عبدالرحيم محمد خبير
- التواصل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في إثيوبيا وانعكاساته على شمال وادي النيل
  د. عطا محمد أحمد كنتول

العدد الثالث والثلاثون - السنة الواحد والعشرون يونيو ٢٠٠٥م / جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

الهجرات العربية إلى بلاد النوبة والسودان الشـــــرقي وآثـــارها الاجتــــــماعية

للدكتور/ ربيع محـــمد القمر الحاج
باحث في التاريخ الإسلامي الإفريقي

لــيس مــن اليســير علــى الباحث أن يحدد تاريخا معينا لبداية العلاقة بين الجزيرة العربية وبلاد السودان بوجه عام وبلدان وادي النيل بشكل خاص ، بيد أن هناك شبه إجماع بين المؤرخين والباحثين على أن هذه العلاقة مــوغلة في القدم حيث تعود إلى آماد بعيدة قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وســلم ، وهــذه حتمية تؤيدها الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية ، ذلك أن البحــر الأحمر لم يكن في وقت من الأوقات حاجزا يمنع الاتصال بين شواطئه الآســيوية العــربية وشــواطئه الإفــريقية إذ لا يزيد اتساع البحر على المائة وعشــرين ميلا عند السودان ، ويبدو بهذا أنه ليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة(١)

وفــي الجنوب يضيق البحر الأحمر لدرجة كبيرة عند بوغاز باب المندب حتى لا يزيد على عشرة أميال ، وهو الطريق الذي سلكته السلالات والأجناس السامية إلى القارة الإفريقية منذ آماد بعيدة (٢)

وتذهب بعض الروايات التاريخية إلى أن المصريين القدماء الذين عبدوا الإلــه حورس كانوا عربا هاجروا من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر عن طــريق مصــوع (٣) وتابعــوا سيرهم عن طريق وادي الحمامات شمالا إلى مصر، وأن معبد الشمس الذي بني قرب ممفيس إنما بنته جاليات عربية وصلت

إلـــى هناك في وقت غير معروف ، ووجدت آثار لجاليات عربية كبيرة تسكن المـــنطقة المحاذيـــة للنـــيل مـــن أسوان شمالا إلى مروي جنوبا (٤) وقد دلت الأبحـــاث الأثرية والتاريخية على أن هجرات عربية قدمت من جنوب الجزيرة واليمن عبر البحر الأحمر يعود بعضها إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وثبتت بعـــض هـــذه الجاليات العربية أقدامها في بعض جزر البحر الأحمر مثل دهلك منذ عدة قرون قبل الإسلام (٥) ولم يقتصر وجود الجاليات العربية على الساحل الإفريقي ، بل إن أفراد هذه الجاليات قد توغلوا في الداخل ووصل بعضهم إلى ضفاف النيل وأقاموا شبكة من طرق القوافل التجارية بين ساحل البحر الأحمر والمناطق الداخلية ، وقد وصل العرب أقطار وادي النيل عن الطريق الشمالي البـــري المار عبر سيناء إلى مصر ، ثم انحدروا جنوبا إلى بلاد البجة والنوبة (٦)

هذا وقد كانت التجارة تمثل إحدى أهم الوسائل لهذه الاتصالات إذ نشـــطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب بين الجزيرة العربية من ناحـــية وبـــين موانـــىء مصر والسودان والحبشة من ناحية ثانية ، مما يؤكد أهميتها في حركة الاتصال والتواصل النشط بين سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية (٧)

وقـــد بلغت هذه الهجرات أقصاها مابين ١٥٠٠ ق م – ٣٠٠ ق م في عهد دولتي معين وسبأ ، وحمل المعينيون والسبئيون لواء التجارة في البحر الأحمر ووصـــلوا فـــي تـــوغلهم غربا إلى وادي النيل، ونشطت حركة التجار العرب وبخاصـــة فـــي زمن البطالسة والرومان،ولاشك أن عددا غير قليل من هؤلاء اســـتقروا فـــي أجـــزاء مختلفة من حوض النيل ، ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم،(٨) وفي القرنين السابقين للميلاد عبر عدد كبير من الحميريين مضيق بـــاب المـــندب، فاستقر بعضهم في الحبشة وتحرك بعضهم الآخر متتبعا النيل

الأزرق ونهـــر عطبــــرة ليصلوا عن هذا الطريق إلى بلاد النوبة ، كما يرجح أنهـــم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل قد انداحوا في هجرتهم حتى المناطق الغربية لســـودان وادي النيل(٩) وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن هناك حملات عســـكرية قـــام بها الحميريون في وادي النيل الأوسط وشمال إفريقيا ، وتركت هـــذه الحمـــلات وراءها جماعات استقرت في بلاد النوبة وأرض البجة وشمال إفـــريقيا (١٠) كمـــا تشير بعض الروايات إلى حملة قادها أبرهة ذي المنار بن ذي القـــرنين الحميـــري علـــى السودان وبلاد النوبة والمغرب في أوائل القرن الأول قـــبل الميلاد، ثم إلى حملة أخرى قادها ابنه افريقيش إلى شمال إفريقيا ، وقـــد تداخلت تلك الجماعات المهاجرة مع الوطنيين من أصحاب تلك البلاد التي هاجـــروا إلـــيها ، وأصـــبح لهم وجود معتبر فيها ، ولعل وجود العمامة ذات القـــرنين التـــي كانت شارة من شارات السلطة الكوشية دليل على ذلك الوجود الحميـــري المبكـــر، (١١) ،إضافة إلى عدد من القرائن الأخرى الدالة على هذا الوجود .

كـــذلك وردت إشـــارات إلى وجود جماعات من الحضارمة عبروا البحـــر الأحمـــر إلى ساحله الإفريقي في القرن السادس الميلادي – ثم اختلطوا بالـــبجة وكونـــوا طـــبقة حاكمـــة خضع لها البجة، وقد عرفوا عند العرب – الحداربـــة – الـــذين اســـتقروا في اقليم العتباي في الشمال ، ثم اضطروا إلى الانـــتقال جـــنوبا فـــي القرن الخامس عشر الميلادي حيث أسسوا مملكة البلو (مملكة بني عامر) في إقليم طوكر(١٢)

علـــى أنه من المهم الإشارة إلى نزوح بعض الجماعات النوبية والسودانية عـــن مواطـــنها إلى الجزيرة العربية ، حيث تأثرت بعادات وتقاليد سكانها قبل الإســـلام ، بـــل مشاركتها في الحياة الاجتماعية والثقافية هناك ، فقد أشار ابن هشـــام إلـــى اســـتعانة المكيين بنجار قبطي أثناء إعادتهم بناء الكعبة قبل البعثة

المحمديـــة (١٣)،| بيد أن بعض المصادر تشير إلى وجود قديم لجاليات حبشية ونوبية وسودانية في بعض مناطق الحجاز في تلك الفترة أيضا (١٤)، وتذكر أن عـــدد الأحـــباش والنوبيين كان كبيرا في عدد من مدنه، وأدى وجودهم إلى أن يتعلم بعض العرب لغتهم ، إذ ثبت أن عددا من صحابة الرسول صلى الله عليه وســـلم قد تعلموا بعضا من تلك اللغات ، وأن زيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع بـــن صـــيفي التميمي الأسدي كانا يترجمان للنبي صلى الله عليه وسلم بالقبطية والحبشية وقد تعلماها من أهلها بالمدينة (١٥)، وتمضي هذه المصادر فتذكر أنه كـــان للنبـــي صلى الله عليه وسلم مولى نوبي اسمه يسار أصابه في غزوة بني عـــبد بن ثعلبة ، فأعتقه وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح النبي صلي الله عليه وسلم ، حيث قطعوا رجله ويده وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتي مات (١٦).

وعلـــي الـــرغم مـــن ثبوت الوجود العربي المبكر والاتصال ببلاد النوبة والسودان في فترة ماقبل الإسلام فإنه لم يكن ذا تأثير واضح في سكان البلاد ، ويرجع ذلك إلى أن العرب وقتها لم يحملوا عقيدة واحدة واضحة ، ولم يكن لهم هدف محدد سوى العمل في التجارة والبحث عن مناخات وفرص أفضل لكسب العـــيش فـــي تلـــك المناطق كما هو الحال عندما جاء العرب المسلمون الذين يحملـــون عقيدة واحدة ، ويتكلمون لغة واحدة ويمثلون دولة واحدة ، وينشدون أهدافا موحدة ، ويكادون يتفقون في السلوك العام المنضبط بتعاليم الإسلام.

علـــى أن أهـــم نقطـــة تحول في تاريخ العلاقة بين العرب المسلمين وبين منطقة وادي النيل وبلاد النوبة والسودان حدثت بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة ٢١ هـــــ في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، بقيادة الصحابي عمرو بن العـــاص (١٧) كانـــت هي توقيع المسلمين لمعاهدة البقط (١٨) مع ملوك النوبة والســـودان مـــن النصارى الذين كانوا يقيمون في شمالي السودان وحاضرتهم

مديـــنة (دنقلة)، ذلك أن هذه المعاهدة تضمنت بنودا مهمة سهلت وسمحت في مجملها للقبائل العربية بالهجرة والتدفق نحو بلاد النوبة والسودان بشكل كبير لم يحدث له مثيل(١٩)، مما مكنها مستقبلا من الإحاطة بالكيانات النوبية المسيطرة وتحول النوبيون وأهل السودان من النصرانية إلى الإسلام .

منافذ الهجرات العربية

علـــى أن تلك الهجرات قد اتخذت عددا من المنافذ ظلت ترد عن طريقها القبائل العربية باتجاه بلاد النوبة والسودان منها ثلاثة منافذ رئيسية هي :

١- المنفذ الشرقي عن طريق البحر الأحمر من الجزيرة العربية.

٢- المنفذ الشمالي عن طريق نهر النيل من مصر.

٣- المنفذ الشمالي الغربي أو الطريق الليبي عبر الصحراء الكبرى .

٤- أولا: المنفذ الشرقي من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر

يعتبر هذا المنفذ من أقدم وأقصر الطرق التي سلكتها الهجرات العربية إلى بلاد النوبة خاصة وإلى القارة الإفريقية عامة ، وقد عرفه العرب قبل الإسلام، وامـــتدوا على ساحله الشرقي ، ومنه أنشأوا طرق قوافل تسير عليها الإبل إلى المـــناطق الداخلـــية في القارة الإفريقية ،كما سلكته كثير من القبائل العربية في هجـــرتها وتجارتهـــا مـــع القـــبائل التـــي تسكن في ساحله الغربي مثلما فعل الحضارمة ، وقبائل بلي التي ساكنت البجة في الشرق واختلطوا بهم .

وحـــين جـــاءت الفـــتوحات الإسلامية توسعت حركة الهجرة من الجزيرة العـــربية إلى بلاد العالم كافة وإلى بلدان إفريقية على وجه الخصوص وانفتحت مـــنافذ أخرى للهجرة إلىالسودان غير هذا المنفذ (٢٠)، إلا أن ذلك لم يقلل من

قيمـــته كمـــنفذ من المنافذ التي ساهمت بقسط كبير في الهجرة إلى بلاد إفريقية بعامة وإلى بلاد النوبة بوجه خاص .

ثانيا : المنفذ الشمالي عبر النيل وبمحاذاته من مصر :

عـــرفت المـــنطقة هـــذا المـــنفذ منذ قديم الزمان إذ إنه كان يمثل الطريق التجاري الذي يربط مصر بوسط إفريقيا وبلاد النوبة والبجة ، وازدادت أهميته بعـــد توقيع معاهدة البقط حيث كفلت بعض بنودها للتجار والمهاجرين والقوافل حق التحرك الحر فيه وأعطتهم أمانا للتوغل في أعماق البلاد ، وأصبح مدخلا للقـــبائل العـــربية إلى بلاد النوبة (٢١)، ويعتبر أحد الباحثين أن هذا المنفذ كان ســـببا مباشـــرا فـــي تعريب بلاد النوبة (٢٢)،وأنه أعظم خطرا وأهم دورا من المنفذ الشرقي في أمر هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة سواء أكان ذلك قبل الإســـلام أم فـــي زمـــن التوسع الإسلامي (٢٣) وأن كثرة الحديث عن الهجرة العـــربية عبر البحر الأحمر كانت بسبب أن بعض القبائل العربية في السودان تدعـــي أن أســـلافها وصلوا من جزيرة العرب مباشرة إلى السودان عبر البحر الأحمـــر لتأييد دعواهم في الانتساب إلى أصل شريف أموي أو عباسي أو أنهم سلالة بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤)

إلا أن علـــى الباحث أن لايغفل أهمية المنفذ الشرقي في دفع وتوسع حـــركة الهجرة إلى بلاد النوبة (٢٥)خصوصا في العهد المملوكي الذي نشطت فـــيه حـــركة الملاحة البحرية بين الموانىء الغربية للبحر الأحمر وبين موانئه الشرقية بسبب الاعتداءات الصليبية المتكررة علي طريق برزخ السويس الأمر الـــذي أدى لإنعاش مينائي عيذاب وسواكن اللذين وضع المماليك أيديهم عليهما تمامـــا بعد تكرار الاعتداء على ممتلكات التجار المصريين المتوفين هناك (٢٦) هـــذا ولـــم يقتصر تأثير المنفذ الشرقي على الجهات التي تقابل الجزيرة العربية فقط بل تجاوزتها إلى السودان الأوسط وبلاد السودان الغربي أيضا(٢٧)

ومهمـــا يكـــن مـــن أمر فإن هذين المنفذين الشرقي والشمالي يعتبران أهم المنافذ التي سلكتها القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد النوبة في تلك الفترة .

ثالثا: المنفذ الشمالي الغربي أو الطريق الليبي:

ســلكته القبائل العربية في هجرتها نحو بلاد النوبة والسودان بعد أن تمكن الإسلام في معظم المناطق الشمالية من القارة الإفريقية ، ويسير باتجاه السهول والبـــراري الـــواقعة بين النوبة وكردفان ودارفور وقد ازدادت شهرته بعد أن قامت في مصر وشمال إفريقية دول إسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية (٢٨) ولـــم يكـــن لـــه دور فاعـــل ومؤثر في حركة الهجرة نحو بلاد النوبة لجفافه وصعوبته بسبب الصحراء وقلة الماء .

على أنه كان هناك عدد من الطرق والمنافذ سلكتها القبائل العربية من هذا الاتجـــاه ومـــنها الطريق الذي يبدأ من شنقيط وينتهي إلى تمبكتو فجاوا وزندر وكوكوا وبيدا ومسنيا وابشي والفاشر ثم يخترق سهول الجزيرة حتى ينتهي إلى ســـواكن ، وقـــد اشتهر هذا الطريق لكونه قد رفد بلاد السودان والنوبة بأعداد كبيـــرة مـــن العلمـــاء والدعاة الذين ساهموا مساهمات كبيرة في نشر الدعوة الإسلامية وتوطينها في تلك المناطق .

دوافع الهجرات العربية :

ولاشك أن هذه الهجرات إلى بلاد النوبة لم تتم في فترة واحدة محددة ، ولم تحـــركها ظـــروف واحدة كذلك بل تمت على فترات متقطعة تنشط حينا وتخمد حيـــنا أخر ويتحكم فيها عدد من الدوافع أو العوامل الدينية والسياسية والتجارية والاقتصادية التي يمكن تناولها على النحو التالي:

أولا : الدوافع الدينية :

كان معظم جنود الحملات العسكرية التي سيرها ولاة المسلمين في مصر نحو بلاد النوبة من رجال القبائل العربية ، وممن شاركوا في الفتح

الإســلامي لمصــر أو من المدد الذي ظل يصل تباعا إلى مصر من الجزيرة العربية لتقوية السلطة وحماية للدولة والتوسع في الفتوح (٢٩) ومن الواضح أن الــولاة في مصر لم يكونوا يترددون في تسيير الحملات العسكرية تجاه النوبة كلمــا أغــاروا على الحدود والمدن الجنوبية للدولة أو كلما تمردوا على دفع ما عليهم من بقط والتزام ، فكان من الأهداف الرئيسية التي حركت أولئك المقاتلين هــو الجهــاد في سبيل الله تعالى لرد كيد الأعداء والدفاع عن الدولة المسلمة ، وحمل لواء الدعوة الإسلامية وتبليغها للعباد تدفعهم لذلك نصوص صريحة من القــرآن الكــريم وتــرغبهم فــي ذلك ، كقوله تعالى " الذين آمنوا وهاجروا وجاهــدوا فــي سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أولئك أعظم درجة عند الله" (٣٠) وقــوله (والــذين جاهــدوا فيــنا لنهدينهم سبلنا" (٣١) وقوله تعالى (لا يستوي القاعــدون مــن المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) (٣٢)

ومــن أقــواله صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق) (٣٣) وقوله صلى الله عليه وسلم (المجاهد في ســبيل الله مضــمون علــى الله إما إلى مغفرته ورحمته وإما أن يرجعه بأجر وغنيمة ومثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لايفتر حتى يرجع(٣٤) فهــذه النصــوص الواضحة الصريحة من الكتاب والسنة كانت هي الدافع الحقيقــي لمشــاركة هــؤلاء الــرجال فــي هــذه الحملات الجهادية ، إضافة إلىحماســتهم لأجــل تبلــيغ الدعــوة الإسلامية ، إلا أن كثيرا من المؤرخين المحدثــين الــذين كتبوا تاريخ الهجرات العربية إلى بلاد النوبة قد أغفلوا هذا الدافع ضمن ماذكروا من دوافع للهجرة ، على الرغم من أنه هو الدافع الرئيسي لها .

ثانيا : الدوافع السياسية :

وهــذه تخــتلف وتتباين بحسب الأوضاع في البلدين مصر والنوبة ، فمنها دوافع خاصة بتأمين النظام السياسي في مصر وتقوية شوكته ، حيث عمد عــدد من الولاة في مصر إلى جلب قبائل عربية بأسرها إلى مصر لتكون قوة لهم وسندا يحميهم ويغطي ظهرهم عند الخطر .

وقــد أشــار عــدد من المؤرخين إلى أن عبيد الله بن الحبحاب حين تولى مصــر من قبل هشام بن عبدالملك سنة ١٠٩ هـ أرسل يستأذنه في قدوم قبيلة قــيس فإذن له، فقدم عليه نحو مائة من أهل بيت هوازن ، ومائة من أهل بيت بنــي عامــر، ومائــة من أهل بيت بني سليم ، فتوالدوا ، وعندما تولى مصر الحــوارثة بــن سهيل الباهلي في خلافة مروان بن محمد أقبلت إليه قيس وهي يومــئذ ثلاثــة آلاف بــيت (٣٥) ، وقد شاركت أعدادكبيرة ،ن هذه القبائل في الحملات التي أرسلت لبلاد النوبة فاستقرت أعداد كبيرة منهم هناك .

ومــن الدوافــع السياسية كذلك أن النوبة ظلت ملجأ لكثير من الهاربين من مصــر، أو مــن الجزيــرة العربية بسبب الثورات وتغيير نظام الحكم ، ويقدم هــؤلاء القــادة الهاربــون عــادة في أعداد ضخمة وكبيرة من أتباعهم وأهلهم وعبــيدهم، وحــوادث التاريخ تبين أنه عندما اجتاحت قوات العباسيين الولايات الإسلامية هرب آخر الخلفاء الأمويين إلى مصر حيث قتل هناك ثم هرب أبناء عبــيد الله جــنوبا إلى النوبة مصحوبين بعدد من الأقارب والأتباع عددهم نحو ٤٠٠ شــخص ، واستجار الأمويون بملك النوبة آملين أن يبقيهم في بلاده، لكن الملــك النوبــي رفض ذلك وطلب منهم الرحيل ، فتوجهوا شرقا مارين بأرض البجة إلى ميناء باضع ، وتعرضوا للجوع والعطش والتعب فهلك عدد منهم من بيــنهم عبــيدالله بن مروان ، ومضى أخوه إلى ميناء باضع على ساحل البحر الأحمــر حــيث عبر إلى جدة ومنها سار إلى مكة المكرمة فقبض عليه وأرسل

إلى بغداد حيث بقي سجينا حتى أيام الخليفة هارون الرشيد ، الذي أمر بإخراجه بعد أن أصبح كهلا ضريرا (٣٦)

هذا ول ايستبعد أن يكون رجال البجة باتفاق مع النوبيين قد غدروا بهؤلاء الأمويـــين تقـــربا للعباسيين ، حيث كشفت الحفريات الأثرية الحديثة عن قبور هـــؤلاء الأمويـــين الفارين على طول الطريق الذي سلـــــــكوه من النوبة إلى ميناء باضع البجاوي (٣٧)

ويـــبدو أن بعـــض مـــن نجـــا من هؤلاء الأمويين قد استقر على الساحل السوداني للبحر الأحمر قرب باضع ، حيث اختلطوا بالسكان المحليين وتزوجوا مـــنهم وأصـــبح لهـــم شـــأن كبير تبعا لأصلهم القرشي ، وقد كان لبقاء هؤلاء الأمويـــين في تلك المنطقة أثر في ادعاء بعض الأسر السودانية بأنها تنحدر من أصل أموي ، ومن الأمثلة على ذلك أسرة الفونج (٣٨) المشهورة ، إضافة لدور مـــن استقر من تلك القبائل في نشر دعوة الإسلام بين سكان البلاد وظلت بلاد الـــنوبة تمـــثل دائما ملجأ للسياسيين والأمراء الفارين من مصر ، يلجأون إليها لترتيب أمورهم وصفوفهم من جديد ريثما يبدأون محاولة الثورة والمقاومة مرة أخـــرى مـــثل هروب عبدالله وعبيد الله ابني مروان بن الحكم إلى بلاد النوبة ، ومثلما فعل الثائر الأموي أبو ركوة في عهد الفاطميين (٣٩)

ومـــن الدوافع السياسية التي ساهمت في دعم وتوسيع الهجرة العربية إلي الـــنوبة تلـــك الحمـــلات الحـــربية التي سيرها ولاة المسلمين من مصر – بعد إعـــدادها ودعمها – إما بسبب انقطاع النوبة عن دفع البقط المقرر عليهم وإما بســـبب هجـــومهم على منطقة الحدود جنوبي مصر ، وقد كانت هذه الحملات تصـــل إلـــى أعماق بلاد النوبة، ثم تستقر أعداد من المشاركين فيها في البلاد فيســـاهمون في نشر الدعوة والثقافة الإسلامية في المنطقة ونقل الدماء العربية للنوبيين بالتزوج منهم ومصاهرتهم .

ومـــن الدوافـــع السياســـية أيضا تحول سياسة العباسيين تجاه العرب إذ المعروف أنه منذ الفتح الإسلامي لمصر ظلت القبائل العربية تفد إليها بأعداد كبيرة جدا سواء كان ذلك بدعوة الولاة لهم كما سبق ، أو بتحرك تلقائي مـــن قـــبلهم نحو مصر ، فأصبحت أعدادهم كبيرة جدا وصار لهم نفوذ مهم في الدولـــة وتســـيير أمـــورها ، واســـتقرت جماعات منهم في الريف ، ومارست الزراعة (٤) إلا أنه بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية بدأ العباسيون فـــي استرضاء الموالي والاعتماد على الجنود الأتراك ، وعلى وجه الخصوص فـــي عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧هـ) فأثبتهم في الديوان وأمر واليه فـــي مصـــر كيدر بن نصر الصفدي بإسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم (٤١) وأدى هذا القرار الخطير إلى ثورة عربية ضد الوالي ، انتهت بأسر زعمائها من القبائل العربية (٤٢) وبهذا انقرضت دولة العرب في مصـــر وصـــار جندها من العجم الموالي من عهد المعتصم إلى أن ولي الأمير أبوالعـــباس أحمـــد بن طولون فاستكثر من العبيد (٤٣) ففقد العرب بهذا نفوذهم القديم وأبدوا استياءهم الشديد لهذا التحول في سياسة الدولة وكثرت ثوراتهم في أول قـــرن للدولـــة العباســـية ، وقامت ثورات يقودها أمراء أمويون في صعيد مصـــر أيدتها كثير من القبائل العربية ولم تفلح الحكومة المركزية في إخمادها إلا بعـــد جهـــود كبيـــرة (٤٤) وأعلنت كذلك قبائل قيس العصيان ورفضت دفع الخراج المقرر عليها (٤٥)

فكـــان طبيعـــيا أن يتبع هذه الاضطرابات نزعات كثيرة بين هؤلاء الذين امتـــنعوا عن دفع الخراج المقرر عليهم – من التمتع بملكية وخيرات الأراضي التـــي يفلحونها – وبين ولاة الأمر في مصر ، وأدى ذلك في النهاية إلى توسيع الشـــقة بين العرب والولاة من حكام مصر ، فكان لهذا التوتر في العلاقة ولهذا الضغط السياسي والاقتصادي أسوأ الأثر في نفوس العرب الذين فقدوا مصدر

رزق مهــم بالنسبة لهم ، ولم يبق أمامهم إلا أحد أمرين : إما أن يذعنوا للأمر ويسلموا بهذا الواقع ، وإما أن ينزحوا نحو صعيد مصر بعيدا عن سلطة الوالي ،فآثــروا الأمر الثاني وأخذوا منذ أوائل القرن الثالث الهجري ينزحون للصعيد المصري ، ومنه لبلاد النوبة في مجموعات صغيرة ، دون أن تسترعي انتباه أحــد ، أو يسجل التاريخ تفاصيلها ، والأغرب من ذلك أنهم قد اجتازوا الحدود بــين مصــر والــنوبة في هدوء شديد لم يلفت إليهم صاحب الجبل وإلي الاقليم الشــمالي من قبل النوبة الموكل بحفظ الحدود الشمالية لبلاده والذي يحول دون دخول أي شخص للبلاد دون تصريح رسمي يسمح له بذلك (٤٦)

ثالثا : الدوافع التجارية والاقتصادية :

ظلــت العلاقــات الــتجارية بين مصر والنوبة مزدهرة منذ قديم الزمان ، وذلك لحاجة البلدين إذ كانت مصر تحتاج لكثير من المنتجات التي لاتتوافر فيها مــثل الأخشــاب والعــاج والأبنوس وبعض التوابل .. وغيرها فخرجت قوافل تجارتهــا مــنذ قديم الزمان إلى الجنوب منها حتى وصلت إلى أجزاء نائية من القــارة الإفــريقية (٤٧) وارتبطت مع بلاد النوبة بصلات تجارية قوية فكانت مديــنة أســوان مجمعــا للــتجار من أهل السودان ومن النوبة ، وكان التجار النوبــيون يقدمــون إلى أسوان عن طريق النيل حتى الجنادل ثم يتحولون إلى ظهــور الإبل حتى يصلوا إلى أسوان (٤٨) وقد سكنها كثير من العرب لمناخها الذي يقارب مناخ الجزيرة العربية ولمركزها التجاري (٤٩) إضافة إلى أن النوبة كانت تصدر عن طريق أسواقها أهم منتجاتها من الذهب والزمرد الذي ينتج في وادي العلاقــي (٥٠) إضــافة إلى الرقيق والعاج والأخشاب الصلبة والأبنوس وســن الفيل لصناعة العاج الذي يستخدم في الزينة وريش النعام والحديد الذي يســتخرج ويصــهر بالقــرب من نباتا ومروي (٥١) وكانت ترد إلى النــوبة المنسوجات ، والقمــــح ، والنحاس من مصر .(٥٢)

وحـــين وقع عبدالله بن سعد عهد الصلح مع ولاة النوبة نص صراحة على حـــق التـــرحال لرعايا البلدين في البلد الآخر دون الإقامة الدائمة ، فساق هذا الحـــق الـــتجار المســـلمين إلى أعماق النوبة مع بضاعتهم وتجارتهم وعقيدتهم الإســـلامية ، واســـتطاعوا بما اكتسبوا من معرفة لأحوال البلاد تمهيد الطريق لهجـــرة القبائل العربية في أعداد كبيرة ، بل نجد أن أعدادا منهم قد استقرت في فتـــرة مبكـــرة فـــي سوبا عاصمة مملكة علوة النصرانية جنوب المقرة ، حتى أصبح لهم حي كامل يعرف بهم (٥٣)

ومن الدوافع الاقتصادية كذلك التي ساهمت في دفع القبائل العربية للهجرة نحـــو جـــنوب مصر في النصف الأول من القرن الثالث الهجري سماع القبائل عن معدني الذهب والزمرد عبر الصحراء الشرقية لبلاد النوبة واشتهار أمرهما ولاســـيما فـــي وادي العلاقي من أرض البجاة فأدى ذلك إلى اجتذاب كثير من القـــبائل العربية المختلفة إلى هذه الأوطان للعمل فيها واستغلال مناجمها (٥٤) وأدى اســـتقرارهم هناك إلى اختلاطهم بالبجاة عن طريق المصاهرة فنقلوا إليهم العقيدة الإسلامية وتغيرت كثير من عاداتهم وتقاليدهم بهذا النسب الجديد(٥٥)

إضـــافة لـــذلك فإن المعلوم عن مراعي النوبة وأراضيها أنها أكثر خصـــوبة مـــن أراضي ومراعي شبه الجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص النوبة الجنوبية (علوة) التي كانت أكثر اتساعا وأخصب أرضا وأوفر ثروة من المقـــرة (٥٦) إضافة إلى أن مناخ النوبة الشمالية (المقرة) يشابه مناخ وبيئة شبه الجزيـــرة العـــربية (٥٧) وهو مايوائم حياتهم التي جبلوا عليها في حب الترحل والتـــنقل وقد كان لهذا التشابه في المناخ وطبيعة البلاد والأرض المسطحة أثره فـــي دفـــع هـــذه القبائل للتقدم نحو الجنوب ، وهي قبائل بدوية رعوية أو شبه رعـــوية لاتســـتطيع التقدم إلا في السهول المكشوفة فكان تدفقهم في كل أرض وصلوها يقف عند اصطدامهم بعقبات طبيعية كالبحار والجبال والغابات ، وهذا

ماحــدث بالضــبط إذ إن تلك القبائل لم تتوقف في زحفها إلا عند المناطق التي تســوء فــيها الطــرق وتتفشى فيها الأمراض الفتاكة ، بيد أن هذه الجماعات العــربية المهاجرة اختلطت بالعناصر النوبية والبجاوية في تلك المناطق وأدى هــذا الاخــتلاط إلى تأثر هؤلاء بالدماء العربية التي كانت تتجدد باستمرار مع توالــي وصول عناصر عربية جديدة إلى هذه الجهات (٥٨) إضافة إلى اعتناق عدد منهم للإسلام في هذه الفترة بالرغم من جهلهم باللغة العربية (٥٩) والراجح أن العرب تعلموا لغة النوبيين بعد أن اختلطوا بهم واستطاعوا بذلك نشر ثقافتهم الإسلامية في بلاد النوبة (٦٠)

هــذا وقــد تعاظمت أعداد القبائل العربية المهاجرة وانتشرت أحياء العرب مــن جهيــنة في بلادهم – أي النوبة – واستوطنوها وملكوها (٦١) وذلك في المراحل الأخيرة للمملكة النوبية النصرانية التي أصابها الضعف والوهن بسبب خلافاتهــا الداخلــية ، وبســبب الضغط القوي للقبائل العربية التي سارت في زحفها حتى بلغت أرض البطانة (٦٢) والجزيرة (٦٣) ثم عبر بعضها نهر النيل إلى كردفان ودارفور وهناك التقت هذه الموجة المهاجرة بموجة أخرى كانت قد تابعــت شــاطىء النيل الغربي حتى دنقلة ، فوادي المقدم (٦٤) ووادي الملك ، حتــى بلغــت فــي مسارها مملكة كانم ، برنو، حيث كان الإسلام قد بلغ تلك الجهات من بلاد المغرب وشمال إفريقيا (٦٥)

واســتقر بعض هؤلاء المهاجرين في سهول أواسط البلاد ، وانفتحوا على السكان الوطنيين من النوبة وغيرهم من البجة والزنج فصاهروهم وعندما بلغوا كــردفان ودارفور اضطر جزء منهم أن يتخلوا عن إبلهم ويعتمدوا على الأبقار في ترحالهم ، ومن ثم عرفوا بعرب البقارة (٦٦)

ورغــم الخلاف الواسع بين الباحثين في أعداد القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد النوبة وفي أنسابهم ، فإنه يمكن القول بما اتفق عليه معظم الباحثين من

أن الجماعات العربية التي هاجرت إلى بلاد النوبة قد اشتملت على المجموعتين العـــربيتين : وهما مجموعتا العدنانيين والقحطانيين (٦٧) حيث يمثل العدنانيون الكواهلة والمجموعة الجعلية وبعض القبائل الأخرى، في حين يمثل القحطانيون المجموعة الجهنية (٦٨)

ويقـــال إن الكواهلة ينتسبون إلى كاهل بن أسد بن خزيمة وأنهم قدموا إلى بـــلاد النوبة من جزيرة العرب مباشرة عبر البحر الأحمر واستقروا في الإقليم الساحلي بين سواكن وعيذاب (٦٩) وينسب إليهم كذلك البشاريون والأمرأر وبنو عامـــر (٧٠) ومـــن المؤكد أن أولاد كاهل قد عاشوا زمنا في الأقاليم الساحلية الشرقية والمناطق التي تليها ، ثم انتشروا تدريجيا نحو الغرب(٧١)

أما المجموعة الجعلية فيقال إنهم ينتسبون إلى ابراهيم الملقب بجعل مـــن نسل العباس عم النبي صلي الله عليه وسلم وترجع أسباب هذه التسمية إلى أن إبـــراهيم هـــذا كـــان جوادا مضيافا وأنه كان يقول للوطنيين وغيرهم من العـــرب (إنـــا جعلناكم منا ، أي أصبحتم منا) (٧٢) وتدل هذه العبارة وكثرة تـــرديدها على أن التوغل العربي الإسلامي في المنطقة كان توغلا سلميا مبنيا علـــى التودد والصلات الحسنة مع السكان الوطنيين من النوبيين وغيرهم ، إلا أن هـــناك مصـــدرا آخر يشير إلى أن سبب هذه التسمية أو هذا اللقب هو سمة إبراهيم الشديدة ، ومنظره(٧٣) والواقع أنه لم يرد لفظ جعل ومشتقاته في أسماء قـــبائل العرب القديمة إلا في قبيلتين : إحداهما جعال بن ربيعة ، الذين أقطعهم الرسول صلى الله عليه وسلم أرض أرم من ديار جذام ، والأخرى بنو حرام بن جعـــل بطن من بلي من قضاعة وهم بنو حرام بن عمرو بن حبشم (٧٤) فاللفظ إذن معروف في الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب أي في الموطن الأول الذي أمد مصر بموجاته العربية المتلاحقة .

وتؤكد رواية أخرى أن من بين الصحابة الذين نزلوا مصر حزام بن عوف البلوي ، وكان من بني جعل من بلي وهو ممن بايع رسول الله صلي الله عليه وسلم تحت الشجرة في رهط من قومه بني جعل فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم : : لا صخر ولاجعل أنتم بنو عبدالله (٧٥) على أنه من الصعب القول بإيجاد صلة بين الجعليين الذين هاجروا إلى بلاد النوبة وبين القبيلة المذكورة هنا .

والراجح أن الجعليين لم يكونوا قبيلة واحدة بل هم مجموعة من القبائل ذات نسب متقارب هاجرت على دفعات وعلى مدى عدة قرون ، وأهم هذه القبائل الميرفاب والرباطاب والمناصير والشايقية والجوابرة والركابية والجموعية والجمع والجوامعة والبديرية والغديات والبطاحين (٧٦)

ومن القبائل العدنانية كذلك قيس عيلان وكنانة وبنو حنيفة وربيعة وبنو فزارة وبنو سليم وبنو يونس (٧٧)

أما أشهر القبائل القحطانية التي هاجرت إلى بلاد النوبة فهي قبائل بلي وجهينة وقد ذكر المؤرخون أن الصعيد الأعلى في هذه المرحلة – خلافة المعتصم – سكنته جموع هائلة من عرب سبأ ونزل منهم أرض المعدن خلق كثير ، كانت بلي وجهينة من جملتهم (٧٨)

وينتسب هؤلاء الجهنيون إلى عبدالله الجهني الصحابي وهو وإن لم يكن من جهينة مباشرة فإنه من قضاعة التي تنتسب إليها جهينة (٧٩) وتضم قبائلها قبائل رفاعة واللحويين والعوامرة ، والشكرية ، وقد سكن هؤلاء في النصف الشرقي من سودان وادي النيل ، وعلى شاطيء النيل الأزرق والبطانة ، وفي كردفان مثل قبائل دار حامد وبني جرار ، والزيادية ، والبزعة ، والشنابلة ، والمعاليا ، وفي غرب كردفان ودارفور تشمل قبائل الدويحية والمسلمية والحمر والكبابيش والمحاميد والماهرية والمغاربةوالبقارة (٨٠)

ومـــن القـــبائل القحطانـــية كذلك قبيلة بهراء وهي بطن من قضاعة التي انتشرت بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكان لهم فضل كبير في تقويض دعائم المملكة النوبية (٨١)

مـــا يخرج به الباحث من خلال تتبع هجرة القبائل العربية في بلاد النوبة هي سرعة اختلاطهم بالسكان النوبيين وغيرهم من الوطنيين في فترة وجيزة ، كـــذلك لاتكـــاد تجد أسماء من القبائل العربية في مصر إلا وتجد لها نظيرا في بلاد النوبة .مما يؤكد أهمية المنفذ الشمالي القادم من مصر عن طريق النيل في أمر الهجرة وتوسعها ، إضافة إلى ذلك فإن هذه الهجرات لم تتم في وقت معلوم محدد بفترة زمنية معينة يمكن إحصاؤها وتقديرها .

أهم الآثار الاجتماعية للهجرات العربية :

أولا : التصاهر بين العرب والسكان المحليين :

كانـــت أهـــم نتائج التدفق العربي الإسلامي نحو بلاد النوبة هو أن دخلت كثيـــر من العناصر العربية الوافدة في تصاهر مع النوبيين ، نتج عنها جيل من المـــولدين – الـــنوبة المستعربون – اعتنقوا الإسلام وتمثلوا كثيرا من المظاهر السياســـية والاجتماعـــية والثقافـــية مما كان له أكبر الأثر في إضعاف الممالك النوبـــية والديانة النصرانية في نفوس أهليهم من النوبة ومن جاورهم من القبائل الأخرى .

هـــذا وقـــد شـــجـــعت على هذا التصـــــــاهر ورغبت فيه عـــــوامل كثيـــــرة مختلفة ، منها :

١- نشر الدعوة الإسلامية وسط النوبيين .

٢- كف أذى النوبيين عن المسلمين.

٣- التخطيط لوراثة السلطة السياسية في البلاد.

٤- بعض من الصفات الخلقية والُخُلقيّة الحسنة والمرغبة في الزواج من النوبيين.

١- نشر الدعوة الإسلامية :

سبق أن وردت الإشارة في مقدمات البحث إلى أن هناك جملة أهداف دعت المسلمين إلى فتح بلاد النوبة والدخول معها في علاقات تنظمها معاهدة البقط، وجاء أمر نشر الإسلام والدعوة إليه هدفا رئيسيا من تلك الأهداف ، وكانت هذه الوسيلة – التصاهر – أو التزوج من الشعوب التي هاجر إليها المسلمون من أهم وسائل نشر الدعوة ، وإذا استبصرنا في التاريخ لوجدنا صورا كثيرة ورائعة لما حققه ذلك التصاهر من نتائج باهرة في نشر الإسلام وبسط دعوته ومعانيه .

فالعرب المسلمون حين قدموا نحو الجنوب من مصر ، واستقروا في بلاد النوبة وبلاد البجة تحت مظلة المعاهدات التي وقعوها مع ملوكهم ،لم يجدوا حرجا من الاختلاط والمصاهرة مع الجماعات التي تقبل الإسلام وتتخذه عقيدة لها ، وما من شك في أن سماحة الإسلام وتعاليمه النبيلة المقاصد قد دعمت هذا الانفتاح ومكنت من اتصالهم مع هؤلاء وغيرهم ممن اعتنقوا الإسلام فكان ذلك مدعاة لأن يفلح هذا السعي في نقل الدعوة الاسلامية ومؤثراتها مع الدماء العربية لهذه الجماعات مشيدين بذلك روابط متينة قوية بالرغم من أن إسلامهم في بداية هذه المصاهرة كان إسلاما ضعيفا تخالطه كثير من الموروثات والعادات القديمة (٨٢) ودون أن يلتزموا جانب الشرع في حياتهم العامة (٨٣)

٢) كف إذى النوبيين عن المسلمين :

المعلوم أن غارات النوبة على جنوب مصر لم تتوقف بشكل نهائي برغم المعاهدة الموقعة معهم ورغم حملات التأديب التي ترسل إليهم تارة بعد أخرى ، فلما توثقت العلاقة بينهم وبين المسلمين بالتصاهر والنسب قلل ذلك من شرهم

، وحـد مـن غاراتهم على الحدود وتعرضهم للمسلمين من ناحية ولتجارتهم وممتلكاتهم من ناحية أخرى ، مثلما حدث مع البجة تماما حين صاهرتهم القبائل العربية في الشرق فقل شرهم (٨٤)

٥- التخطيط لوراثة السلطة في البلاد :

كانـت أعراف النوبيين وتقاليدهم تورث (ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصـلب ، ويقولون إن ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح وإن يكن من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال (٨٥) وهذا النظام هو نظام عام عند معظم القبائل الإفريقية (٨٦) وبه استطاع بنو الكنز تولي السلطة في بلاد النوبة (٨٧)

٦- بعض الصفات الحسنة المرغبة في الزواج من النوبيين :

ولعـل من عوامل التصاهر وإقبال العرب على الزواج من النوبيين بعض الصـفات الحميدة الحسنة التي ترغب في الزواج من بناتهم واتخاذهن زوجات وأمهات لأولادهم ، فقد اتصفن بكثير من الصفات الحسنة الداعية للاقتران بهن

فمـن الصـفات الخلقـية (أن جمـيع النوبة في نسائهم الجمال وكمال المحاسـن ، وشفاههن رقاق وأفواههن صغار ، ومباسمهن بيض ، وشعورهن سبطة (٨٨) ولهذه الخلال التي فيهن يرغب ملوك أرض مصر فيهن ويتنافسون في أثمانهن ويتخذونهن أمهات أولاد لطيب متعتهن ونفاسة حسنهن (٨٩) إضافة إلى مايتمتعن به من الأخلاق الحميدة والعفة (٩٠) لذلك فإن الجارية منهن يبلغ ثمنها ثلاثمائة دينار أو أكثر من ذلك(٩١)

وذكـر بعـض الرواة أنه كان بالأندلس جارية من هؤلاء الجواري المتقدم ذكـرهن عـند الوزير أبي الحسن المعروف بالمصحفي فما أبصرت عيناه قط أكمل منها قدا ، ولا أصبح خدا ولا أحسن جسما ولا أملح أجفانا ولا أتم محاسن ، وكـان هـذا الوزيـر المذكور مولعا بها بخيلا بمفارقتها .. وكانت مع تمام محاسـنها وبديـع جمالها إذا تكلمت أسحرت سامعها ، لعذوبة ألفاظها وحلاوة

مــنطقها (٩٢) فاشـــتراها مـــنه الصاحب بن عباد بأربعمائة دينار وأحبها حبا عظيما ومدحها في بعض أشعاره(٩٣)

هــذا وقد كانت أم الخليفة المستنصر من نساء النوبة اللاتي كان لهن شأن كبير في الحكم والسياسة والإدارة في مصر (٩٤)

هــذا وقــد مثلت قبيلة ربيعة العربية نموذجا واضحا وجليا على مــدى التصـــاهر الذي تم بين العرب والنوبيين بعد أن صاهروا قبائل البجةفي الشرق ، فعاد ذلك التصاهر على الطرفين بخير كثير ، ولاسيما الطرف النوبي الذي تحول فيما بعد جميعه إلى الإسلام بسبب أسهامات هذه القبيلة ورجالها من بني الكنز(٩٥).

والمعلوم أن قبيلة ربيعة كانت قد هاجرت هجرتها الكبرى إلى أرض البجة ســنة ٢٣٨هــ ، وعملت هي والقبائل العربية الأخرى التي استقرت هناك على مصـــاهرة قــبائل البجة حيث تزوجوا من بناتهم وقويت شوكتهم وكذلك قويت شــوكة الــبجة بهم (٩٦) فكان من نتائج ذلك أن تحولت أعداد كبيرة من قبائل الــبجة الأخرى للإسلام ، وزاد ذلك من نفوذ ربيعة في منطقة وادي العلاقي ، وسيطرت قبائل البجة المسلمة على القبائل الأخـــرى التي لم تسلم (٩٧)

امـــا فـــي مـــنطقة النوبة فكما سبقت الإشارة إلى أنه مع مطلع القرن الثاني الهجري أصبح المسلمون في منطقة المريس يمثلون طبقة قوية بما ملكوه من الأراضي الزراعية والمواشي والأموال (٩٨)

وتركـــزت قبـــيلة ربـــيعة في بدايات استقرارها في هذه المنطقة في مدينة أســـوان وماحولها وبنوا لهم ميدنة أسموها (المحدثة) جنوبي أسوان وأصبحت مركـــزا لهـــم ، وفرضـــت نفوذها على المنطقة وماحولها واختلطت بالنوبيين وبمضـــي الـــزمن اندمجوا اندماجا تاما فيهم ، فكان ذلك سببا رئيسا في تحول أعـــداد مـــن الـــنوبة النصارى إلى الإسلام(٩٩) ويمكن القول إنه ما كاد القرن

الـــثامن الهجـــري ينتصف حتى كانت الغالبية العظمى من النوبيين قد اعتنقت الإســـلام (١٠٠) بفضـــل جهود الأجيال الجديدة من النوبة المولدين الذين كانت أمهـــاتهم في الغالب من النوبيات اللاتي تزوجن الأعراب الوافدين , دعاة كانوا أو تجارا أو مهاجرين .

ثانيا؛ انتقال بعض العادات والتقاليد للنوبيين :

كان للنوبة بعض من العادات والتقاليد الموروثة نتيجة اتصالهم بالمصريين مـــنذ أقـــدم العصور والأزمنة ، أصبحت جزءاً من واقعهم وحياتهم الاجتماعية والدينـــية والثقافـــية وتظهـــر بشـــكل واضح فيماخلفته حضارتهم من إهرامات وطـــرائق للـــدفن سلكت نفس طريقة دفن المصريين لموتاهم آنذاك وبقيت كثير مـــن عاداتهم تلك بالرغم من تحولهم للنصرانية التي اكسبتهم بعضا من العادات الجديـــدة مـــنها ختانهم لأطفالهم واعتزالهم النساء في الحيض ، واغتسالهم من الجـــنابة (١٠١) وفـــي فترة بداية الاتصال الإسلامي بهم تسربت لهم بعض من الـــنظم والعادات والتقاليد ، ذلك بحكم ما كان يربطهم بممالك الإسلام من تجارة وملاحة وعلاقات مختلفة (١٠٢)

وعلى أثر انفتاح المهاجرين من العرب المسلمين على المجمـــوعات الوطنية النوبية بالتزاوج والاسترقاق والمصاهرة على النحو الذي سبق ذكره ، انتقلت كثير من العادات والتقاليد العربية إلى الحياة النوبية إلا أن هـــذا التأثير كان أقل مما يتم في مجال نشر الدعوة الإسلامية والعقيدة ، ذلك أن الـــنوبة الذين تحولت أعداد كبيرة منهم إلى الإسلام على النحو الذي سبق ، فقد ظلـــوا فـــي حياتهم الخاصة يحتفظون بكثير من موروثاتهم وتقاليدهم ، كما أن الإسلام ودعاته الأوائل لم يكن هدفهم الأساسي في الدعوة هو تعريب العناصر الوطنية التي دانت بالإسلام والتزمته ، بل كان الهدف دعوتهم للإسلام على أن تبقـــى عاداتهم وتقاليدهم على ذات النمط الذي ألفوه وتوارثوه عن أسلافهم ، إلا

ما عارض الدين وكان مخالفا للعقيدة ، وهذا المنهج انتهجه الدعاة في كل القارة الإفـريقية ، وهـو من الأسباب التي جعلت الأفارقة يقبلون على الإسلام لأنهم وجـدوا فـيه (ثقافـة ملائمة لحاجاتهم وجديرة بتكييف مطالبهم ومطامحهم (١٠٣) فكانـوا ينظرون إلى اعتناقه على أنه دليل الترقي إلى حضارة ومنزلة اجتماعـية أسمي مما هم فيه ، وأنه خطوة متميزة في تقدم القبيلة عقليا وخلقيا وماديا (١٠٤) والمعلوم أن الإسلام قد وجد كثيرا من العادات والتقاليد التي كان يمارسـها العـرب فـي جاهليـتهم فحرم ما كان منها مخالفا للدين والأخلاق والمروءة كوأدهم بناتهم صـغارا بل نزل في ذلك قرآن يتلي (وإذا المـوؤدة سـئلت بـأي ذنب قتلت) (١٠٥) إضافة إلى غيرها من العـادات الـرذيلة مـثل شـرب الخمـر التـي كانت لها منتدياتها وأماكنها ومصطلحاتها ، ووجد بعض العادات والتقاليد يشوبها بعض من شوائب الجاهلية فعمل على تنقيتها وتهذيبها ودفعها للإمام بعد ذلك ، ووجد عادات أخرى أقرها وأبقـى عليها ، بل وأشـاد بها مثل إكرام الضيف ، ونصرة الضـعيف المظلوم ، والتخلق بمكارم الأخلاق .

هذا وقد أضحى النوبيون باتصالهم بالمسلمين يتخلون عن كثير من العـادات والتقالـيد الوثنية القديمة مثل ماكانوا يقدمونه من قرابين للنيل في كل عـام حتى يفيض بالخير والرخاء على زعمهم ، إذ كانوا يعدون إحدى فتياتهم فـي أحسن لباسها وأغض شبابها ثم يلقون بها عروسا للنيل ، متأثرين في ذلك بالفـراعنة القدماء (١٠٦) أيضا ومن عاداتهم التي حاربها الإسلام أن الرجل إذا طلـق زوجـته بطلبها ورغبتها استولى على جهازها وحلق شعر رأسها (١٠٧) وكـان مـن عاداتهم أيضا أن الرجل إذا خامره شك في زوجته حملهاإلى النيل وأغمـد مديـة في صدرها ثم قذف بها في النهر (١٠٨) إضافة إلى عادة شرب

الخمر بشكل كبير وإعداده في البيوت والاختصاص بأنواع مختلفة (١٠٩) ولعل ذلك أمر مرتبط بشـــعائر نصرانية دينية .

وممـــا عثر عليه من كتابات في مقابر نوبية تحمل التاريخ الهجري (١١٠) يبـــين تأثـــر النوبيين بالمسلمين في كيفية دفن موتاهم بعد غسلهم والصلاةعليهم بدلا عن طريقة الدفن النوبية القديمة ، إلا أنه قد صاحب ذلك بعض من مظاهر طريقتهم القديمة إذ ظلوا يضعون مع الميت بعض ممتلكاته القديمة أو قطعا من فخـــار كان يستخدمه المتوفى في حياته ، إضافة إلى ذبح بقرة أو شاة وتوزيعها علـــى الفقـــراء والمساكين من أبناء المنطقة ، وقد تأثرت بعض القبائل العربية بـــبعض هذه العادات(١١١) بالرغم من أنها من البدع المنهي عنها في الإسلام ، غيـــر أن الـــباحث لايستطيع الجزم بأن النوبة المسلمين قد خصصوا لهم أماكن خاصة لدفن موتاهم غير التي يدفن فيها النصاري من النوبة موتاهم .

هـــذا وقد أخذ النوبيون كثيرا من عادات المسلمين المتعلقة بأفراحهم فنجد في حالة الزواج أن عددا من الشهود يحضرون مراسيم توقيع العقد ، فضلا عن حضـــور المـــأذون نفسه ،إلا أن بعض النوبة المسلمين الذين لم يكونوا يعلمون شـــيئا عـــن أبســـط قواعد الإسلام كانوا يجمعون بين الأختين في الزواج(١١٢) ولعلها بقايا موروثات وثنية قديمة .

وقد ارتبطت مراسيم الزواج النوبي كثيرا بالنيل ، بل إن الحياة الاجتماعية كلها ذات صلة مباشرة به فضلا عن ارتباطهم الاقتصادي والتجاري به ، فكان العـــريس يصـــحب عروســـته إلى النيل في صباح يوم الزواج ليتراشقا بالماء ويغســـلا وجهيهما ويأخذ كل واحد منهما نباتاً أخضر يعلقانه على الدار (١١٣) علـــى أن النوبـــي إذا طلق زوجته أخذ مادفعه من مهر كامل (١١٤) ويسترده دون أن يعترض سبيله أحـــــد أو أن يواجه احـــــتجاجا أو إنكارا من مجتمعه .

والنوبـــي في أموره كلها وعلى وجه الخصوص في زواجه لابد أن يشاور أمه في كل صغيرة وكبيرة بدءا باختيار الزوجة المناسبة والتعرف عليها وعلى أهلها ثم التقدم لخطبتها وحتى يكمل مراسيم زواجه كلها (١١٥) فهو لا يستغني عن أمه أبدا وعن مشورتها الدائمة (١١٦)

وفـــي حالة أن يولد مولود جديد للزوجين فإنه يحمل إلى النيل ليغسل هناك بعـــد إكمالـــه أربعين يوما إذ يعتقد الأهالي أن عقوبات وشروراً ستنزل بالمرأة التـــي تهمـــل هـــذه الطقوس (١١٧) إضافة لذلك كانت المرأة ترسم على جبين ولـــيدها الصـــغير صـــليبا صـــغيرا من الكحل ظانين أن هذا العمل يطرد عن الصـــغير العـــين ويحفظه من شرور الناس (١١٨) وقد كانت هذه العادة نفسها موجـــودة عـــند العرب ويبدو أن النوبيين المسلمين قد عدلوا عن رسم الصليب عند احتكاكهم بهم ، فقد كان العرب يجعلون على وجه الصبي سوادا من الكحل إلى أن يبلغ الأربعين يوما من عمره لئلا تصيبه العين ، وهي ما تسميها العرب (بالتدسيم) وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه نظر إلى غلام مليح فقال(دسموا نونته) ، والنونة

(حفر الذقن) (١١٩)

كـــذلك من العادات التي أخذتها نساء النوبة من اتصالهن بنساء العرب أو بالتزاوج والمصاهرة معهم ، نتف شعر جباههن بالخيط وهي عادة عربية قديمة يقال احتفت المرأة إذا أمرت من يحف شعر وجهها بخيطين .

قـــال الشـــاعر الجاهلـــي يصـــف امرأة أخبرت بقدوم زوجها من سفر :

فلما مضى شهر وعشر لعمرو　　قالوا تجيىء اليوم قد حان حينها　　أمرت
مـــن الكتان خيطا وأرسلت　　حريا إلى أخـــرى قريبا تعـــينها فما زال
يجري الســـلك في حـــرو　　وجهها حتـــــى تنته عن قرونها (١٢)

هذا وقد انتقلت كثير من عادات العرب للنوبيين في شتى أوجه الحياة العامة، منها تغيير شكل مبانيهم وسكناهم إذ اتجهوا إلى إقامة فواصل من حـائط أو نحوه بين مكان سكنى حريمهم ومكان إقامة الرجال (١٢١) ودخلت بعـض الـتعديلات في طعامهم إذ كان (أفخر طبخاتهم أن تطبخ اللوبيا في مـرق اللحـم ، ويثـرد ويصف اللحم واللوبيا على وجه الثريد ، وربما عملت اللوبيا بورقها وعروقها (١٢٢) وعرفوا استخدام الصاج في صناعة بعض دقيق الخبز من الذرة تماما كما يصنع بدوجزيرة العرب (١٢٣)

وفـي ملابسهم بدأت المؤثرات الإسلامية أكثر وضوحا ، إذ عدل النوبيون عـن الملابـس القصيرة ، وأصبح لباسهم أقرب للباس القبائل التي ساكنتهم من العـرب ،فأصبح النوبي يضع على رأسه غطاء يتخذ شكل طاقية من القماش بيضاء يلف عليها خرقا صغيرة تعطيها شكلا أقرب إلى العمامة (١٢٤)

أما النساء فقد أخذن عن العرب في اللباس (الرهط) وهو نقبة من جلد أحمر مشقق بسيور ليس له حجزة ولا ساقان يشد كما تشد السراويل فتلبسه الجواري قبل إدراكهن ، فإن أدركن ، أو زوجن خلعنه (١٢٥)

وقـد كـان هـذا النوع من اللباس معروفا في الجزيرة العربية ، قال ابن مـنظور: وكانـوا في الجاهلية يطوفون عراة والنساء في أرهاط(١٢٦) كذلك النقـبة وهـي قطعة من الثياب قدر السراويل تجعل لها حجزة محيطة من غير نـيفق وتشـد كما تشد السراويل (١٢٧) فاذا كان لها نيفق وساقان فهي سراويل فاذا لم يكن لهانيفق ولا ساقان ولا حجزة فهو النطاق (١٢٩)

وإذا كان النوبيون قد تأثروا كثيرا ببعض العادات العربية فإن العرب كـذلك أخـذوا مـن النوبيين بعضا من عاداتهم وتقاليدهم وصبغوها بصبغتهم الخاصة بحسب وضعهم الاجتماعي في ذلك الوسط الجديد الذي أقبلوا علـيه ، ومـنـها أخـذهم عادة (الشلوخ) من النوبيين ، وهي كلمة تستعمل للدلالة

علــى الخطــوط المرســومة علــى الخدود من أثر الفصد ، وهي عادة عرفها النوبــيون مــنذ آماد بعيدة وقبل أن تصل القبائل العربية في هجرتها إلى بلاد الــنوبة (١٣٠) ومن المحتمل أن يكون لها ارتباط بالتقاليد الدينية والاجتماعية عندهم .

هذا وقد ورد الشلخ في كتاب المعاجم اللغوية بمعني الأصل والعرق (١٣١) وبمعنــي الفصد فصد المريض إذا شقف عرقه(١٣٢) وشلخه بالسيف قطعه به ، وشــلخ الــزرع ، قطع بعض فروعه وورقه لينمو أكثر وشلخ النخل أزال عنه شوائبه (١٣ ٣)

وكما سبقت الإشارة فإن العرب الوافدين إلى بلاد النوبة قد دخلوا مع سكان الــبلاد في علاقات قوية بالتصاهر والتزاوج معهم ، وانتشروا في بادىء الأمر فــي الــبوادي طلــبا للرعي ولحرية التنقل والترحال في طلب الكلأ ، وحين توســعت الهجرة بشكل كبير استقرت أعداد منهم على شواطيء النيل مما زاد فــي اخــتلاطهم بالعناصر الوطنية من النوبيين وغيرهم ، وبلغ ذلك الاختلاط والالتحام درجة قصوى حتى نسي الوطنيون لغتهم الأصلية ولدرجة يتعذر معها الفصــل بــين الأجيال الجديدة من سلالة الوافدين وأبناء الوطنيين من النوبيين ممــن كمــل استعرابه (١٣٤) ولاشك أن العرب قد لاحظوا تلك الخطوط التى يضــعها النوبيون وغيرهم من سكان وادي النيل على خدودهم ولابد أن تكون مــثل تلــك العــادات قد انتقلت تدريجيا إلى أبنائهم وبناتهم عن طريق أمهاتهم النوبــيات ، ومــع أن العــرب قــد انفتحوا على المجتمع الذي آواهم معاشرة ومصاهرة وتسريا – أي استرقاقا – فقد هالهم فيما يبدو أن تلاقحهم مع المجتمع النوبــي أدى إلــى نتاج جديد أشبه شكلا وأقرب لونا إلى الشعوب التي يعيشون بيــنها من البجة والزنج وغيرهم ، فخشوا أن يذوب كيانهم وتضيع خصائصهم فــي خضــم هذا التصاهر (١٣٥) فاتجهوا إلى تلك العادة النوبية فتبنوها بعد أن

افــرغوها من مدلولها الديني والوثني ، وتبنوها ليتميزوا بها عن من سواهم ، ولخــوفهم من تعرض أبنائهم للرق بسبب سمرة بشرتهم ، فاتخذت كل جماعة من هذه الجماعات والقبائل العربية وسماً خاصا بها ، حتى أصبحت سمة ودليلا علــى عــروبتهم فــيما بيــنهم أولا ، وعــند جيــرانهم ثانيا ، وأصبح معتقدا راســخاعندهم أن عــدم وجودها وتركها يثير كثيرا من الشكوك والريب حول أصول هذه الجماعات حيث أصبح تركها ليس من أخلاق العرب والأحرار في شيء(١٣٦)

وفــي مراحل انتشار الإسلام المتقدمة وقبيل قيام الممالك الإسلامية اتخذت الطــرق الصوفية طريقها إلى بلاد النوبة ، واتخذت كل طريقة من هذه الطرق وســما خاصا باتباعها ورجالاتها تميزا لهم عن أتباع الطرق الصوفية الأخرى فأضافت للمدلول القبلي للشلوخ مدلولا جديدا (١٣٧)

كــذلك مــن نــتائج هذا التصاهر أن اتجهت القبائل العربية المهاجرة إلى الاهــتمام بأنســابها وحفظ الأنساب خوفا من الضياع أو الاختلاط ، فتأثر بذلك النوبة المستعربون من بني كنز وغيرهم فاتجهوا إلى ذلك الأمر إثباتا لأصولهم العــربية بانــتمائهم لقبيلة ربيعة العربية وأصبح الاهتمام بمعرفة الأنساب أمرا منتشرا وخطيرا في بلاد السودان منذ ذلك الحين (١٣٨)

الهوامش :

١) ابن سيد الناس : السيرة النبوية ، ج ١ ، بيروت ،مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ : ١٩٨٦ ، ص ١٥٢ – مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ م ص ١٠٧ ، ١٠٦

٢) محمد عوض : السودان الشمالي سكانه وقبائله ، القاهرة ، ١٩٥١ ص ٢٨

٣) مصوع : ميناء تجاري مهم يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وشهد صراعات عديدة في التاريخ ، ضمه العثمانيون لهم وأقاموا فيه قواعد عربية تأمينا للتجارة ومنافذها في سنة ١٥٢٠م ، (مصطفي مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ١٢٦، ٢٠٩)

٤) أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ط ٢ القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣، ص ١٣٤ ، ١٣٦

٥) دهلك : اسم أعجمي معرب لجزيرة في بحر اليمن ،ومرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، كان بنو أمية إذا سخطوا علي أحد نفوه إليها ، قال الشاعر :

وأقبح بدهلك من بلدة … فكل امرىء حلها هالك

كفاك دليلا على أنها … جحيم وخازنها مالك

انظر ياقوت الحموي : ج ٢ ، معجم البلدان ، ج ٢(طهران : مكتبة الأسدي ١٩٦٥، ص ٦٣٤

٦) خليفات عوض محمد : مملكة ربيعة العربية ، عمان ، ١٩٨٣ م ص ٤٧

٧) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٠٧ – ١٠٨

٨) الشاطر بصيلي : معالم تاريخ سودان وادي النيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٠٦٩م ، ص ٨

٩) **المرجع السابق : ص ٨-٩**

١٠) المرجع السابق : ص ٨
١١) عوض محمد خليفات : مملكة ربيعة العربية ، ص ٥١
١٢) المقريـــزي : المـــواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ١ القاهرة المطبعة الأميرية ١٩٧٠ هــ ، ص ١٩٥
١٣) عــبدالملك بن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ص ٢٠٥ ، تحقيق مصطفى عبدالستار(وآخرون) مطبعة الحلبي ، مصر ١٣٥٥ هــ - ١٩٣٦م
١٤) عوض محمد خليفات : مملكة ربيعة العربية ، ص ٢٥
١٥) علي بن الحسين المسعودي التنبيه والإشراف ، ليدن ١٩٧٦م
١٦) عــبدالله بـــن مسلم بن قتيبة الدينوري : المعارف ، ص ١٤٧ تحقيق د. ثـــروت عكاشـــة ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٨هــ دار العلم للطباعة والنشر جدة ١٤٠٣هــ ، ص ٨٣
١٧) الصـــادق المهـــدي : مستقبل الإسلام في السودان ، ص ١٧ ، مصطفى مسعد مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٦٠ / الإسلام والنوبة ص ١٠٦ - ١٠٩، يوســف فضل حسن : الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام ، بحث منشـــور ضـــمن إصدار بعنوان(الإسلام في السودان عن جماعة الفكر والثقافة الإسلامية ، دار الأصالة ، الخرطوم ، ص ٣
١٨) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٠٨
١٩) ربيع محمد القمر : قرأءة جديدة في نصوص معاهدة البقط ، الدارة العدد (الثانـــي) الـــرياض ، السنة الحادية والعشرون- محرم / صفر / ربيع الأخر ١٤١٦هــ ، ص ١٦٢
٢٠) عبدالمجـــيد عابدين : القبائل العربية في وادي النيل، بحث في ذيل كتاب البيان والإعراب للمقريزي القاهرة ١٩٦١م ، ص ١٤٢
٢١) جعفر أحمد صديق : انتشار الإسلام في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، ص ١٠٨ ، قسم الدراسات العليا الحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القري ١٤٠٨هــ ص ١٠٨

٢٢) عـباس عمـار : وحـدة وادي النيل ، أسسها الجغرافية ومظاهرها في التاريخ ص ٨٠
٢٣) المرجع السابق ص ٨٠
٢٤) Macmicheal, H,A " The coming Of Arabs in Sudan AESW, London ١٩٣٥ pp ٤٦-٤٧
٢٥) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ص ١٨٩
٢٦) المقريـزي: السلوك ج١ ، تحقيق محمد مصطفي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة ١٩٤١ م ٥٠٦
٢٧) محمد عوض محمد : السودان الشمالي : ص ٥٩- ١٦٠
٢٨) محمـد بن عمر التونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل عساكر ومصطفي مسعد القاهرة ، الدار المصرية للتاليف ، والترجمة ١٩٦٥ م ص ٦
٢٩) مصطفي مسعد / الإسلام والنوبة ، ص ١٩٠ ومابعدها
٣٠) سورة التوبة ، الأية ٢٠
٣١) ٣١ سورة العنكبوت ، الأية ٦٩
٣٢) سورة النساء ، الأية ٩٥
٣٣) أبوعبدالـرحمن أحمـد بـن شعيب النسائي : سنن النسائي ج ٦ ، مكتبة مصطفي الحلبي ، ١٩٨٤ ، ص ٨
٣٤) ابـن ماجـة : سـنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة مصطفي الحلبي ، مصر (بدون تاريخ) ج ٢ / ص ٩٢١
٣٥) الكـندي : الـولاة والقضاة ، دار صادر ، بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ص ٧٦ – ٧٧
٣٦) المسـعودي١٩٧٦ : التنبيه والإشراف ، ص ٣٢٩ – ابن إياس : بدائع الـزهور ، ص ٢٩ – ٣١ (محمـد بن أحمد) ت ١٩٣٠ هـ القاهرة ١٨٩٦ م

٣٧) عوض خليفات : العرب والنوبة في صدر الإسلام ، بحث بمجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، رجب ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٦٣

٣٨) اختلف المؤرخون في أصلهم فقيل أنهم من القبائل النيلية السودانية (الشلك) وقيل إنهم من البرنو من غرب إفريقيا ، إضافة للرأي القوي الذي يقول بأن أصولهم ذات صلةمباشرة بالأمويين ، انظر (مصطفي : الإسلام والنوبة ص ٢٠٦)

٣٩) القمر ربيع ، معاهدة البقط رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ – الرياض ض١٤١٢هـ –

٤٠) المقريزي : البيان والإعراب عمن بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين ، القاهرة ، ١٩٦١ م ص ٦٦– ٨٦ – ٩٨ – ٩٩

٤١) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٤

٤٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة ، د. ٢ ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٣ م ، ص ٢٢٣

٤٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار : ج ١ ص ٩٤

٤٤) ابن تفري بردي : النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة ، ج ٢ ، ص ٤٩ ، ٦١، ٦٠ ، ٥٥

٤٥) الكندي : الولاة والقضاة ، مطبعة الآباء اليوسوعيين بيروت ١٩٠٨م ص ١٤٥ – ١٤٦

٤٦) أبوصالح الأرمني : تاريخ الشيخ أبوصالح الأرمني ، أكسفورد ١٨٩٤م ص ١٢

٤٧) رولاند أوليفر : مؤجز تاريخ إفريقيا ، ترجمة دولت أحمد صادق ، القاهرة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ص ٣٩

٤٨) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ١ (أبوعبدالله محمد بن محمد بن ادريس) ت ٥٦٠هـ روما ١٩٧٠م، ص ٣٩

٤٩) عبدالله خورشيد : القبائل العربية في مصر ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م ، ص ٥٢
٥٠) اليعقوبي : كتاب البلدان ، المطبعة الحيدرية ، النجف – ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م، ص ١٢٠
٥١) محمد إبراهيم الصحبي : التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، مكتبة الوعي العربي ، ١٩٦٩ ، ص ٤٠١
٥٢) أحمد نجم الدين فليجة : إفريقية ، بغداد ، جامعة بغداد ١٩٧٨ م ، ص ١٦
٥٣) ابن سليم الأسواني : أخبار النوبة (المواعظ والاعتبار للمقريزي) ج ١ ، المطبعة الأميرية القاهرة ١٢٧٠ هـ – ص ١٩٣
٥٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ١٢٣ –١٢٤
٥٥) مصطفي مسعد : البجة والعرب في العصور الوسطي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، عدد ٢ القاهرة ، ص ٢٩
٥٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٩١
٥٧) شوقي الجمل : تاريخ وحضارات السودان ج١ القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩ م ص ٢٥٤ – الصادق المهدي : مستقبل الإسلام في السودان ، ص ١٧
٥٨) مصطفي مصطفي : الإسلام والنوبة ، ص ١٣٨
٥٩) المقريزي: المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٠
٦٠) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٣٣
٦١) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٨ م ج ٥ ، ص ٩٢٣
٦٢) بين نهري عطبرة والنيل الأزرق
٦٣) بين النيل الأزرق والنيل الأبيض

٦٤) حســـن محمد جوهر وحسين مخلوف : السودان (أرضه ، تاريخه ، حياة شعبه)، دار الكتب ، مصر ، ١٩٧٠ م / ص ٥٣
٦٥) يوسف فضل حسن : الهجرات البشرية ، ص ٢٢
٦٦) المرجع السابق / ص ٢٣
٦٧) مصـــطفي مســـعد : امـــتداد الإسلام والعروبة إلي وادي النيل الأوسط ، المجلة التاريخية المصرية ١٩٥٩ م (العدد الخامس) القاهرة ص ٨٢
٦٨) المرجع السابق ، ص ٨٢
٦٩) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ١٤٣
٧٠) المرجع السابق ، ص ١٤٤
٧١) مصطفي مسعد : امتداد الإسلام والعروبة ، ص ٨٣
٧٢) Michael H A : A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge ١٩٢٢ ١ p. ١٩٧٠
٧٣) أحمـــد بن الحاج : مخطوطة كاتب الشونة ، تحقيق الشاطر بصيلي ، دار إحياء الكتب العربية مصر ، القاهرة ، ص ٤٥(بدون تاريخ)
٧٤) محمـــد المرتضــــي الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ٨ بيروت مكتبة دار الحياة ص ٢٤٣
٧٥) ابـــن حجر / الإصابة في تمييز الصحابة : ج ١ مطبعة السعادة ، مصر ١٢٢٨هـــ ، ص ٣٢٣
٧٦) نعـــوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ م ص ٦٢- ٦٥
٧٧) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، ابن حوقل صورة الأرض ، رسالة ماجستير جامعة أم القري ١٤١٠ هـــ ص ٥٤، جعفر أحمد صديق : انتشار الإسلام في السودان ، ص ١١٢
٧٨) اليعقوبـــي : تـــاريخ اليعقوبـــي : ج ٢ ، ص ٨٩ – المقريزي : البيان والاعراب ص ١٠٥ ، ١٠٦

٧٩) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢١٠
٨٠) جعفر أحمد صديق : انتشار الإسلام في السودان ، ص ١٢٢
٨١) ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ١٩٦٨ م ص ٥١٦
٨٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٧
٨٣) أحمد كاتب الشونة وآخرون : تاريخ ملوك السودان ، تحقيق مكي شبيكة ، مطبوعات كلية غردون التذكارية ، مطبعة ماكوركودليل الخرطوم ١٩٣٧ – ص ١
٨٤) ابن سليم الأسواني : أخبار النوبة ، عن المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٦
٨٥) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤
٨٦) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (ابو عبدالله محمد بن عبدالله) ٧٧٩ هـ ، دار صادر بيروت ١٢٨٤ هـ ، ص ٦٧٧
٨٧) عوض خليفات : مملكة ربيعة العربية ، ص ٤٨ ومابعدها
٨٨) الادريسي : نزهة المشتاق : ج ١ ، ص ٣٠
٨٩) المصدر السابق ج ١ ص ٣١
٩٠) بوركهارت: رحلات بوركهات في النوبة، مطبعة المعرفة بدون تاريخ ص ١٣٦
٩١) ابن الوردي : خريدة العجائب ، ورقة ٢١
٩٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، روما ١٩٧٠ م ص ٣١
٩٣) ابن الوردي : خريدة العجائب ، مخطوطة بقسم المخطوطات ، المكتبة المركزية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (٦٢٣٩) ورقة ٢١
٩٤) ابن ميسر: أحبار مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي القاهرة ١٩١٩م ص ١٣
٩٥) عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ١٢٣
٩٦) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٥٧ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٨

٩٧) القلقشـــندي : صبح الأعشي ، ج ٥ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٣٣ هــ / ١٩١٥ م ص ٢٧٣

٩٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ دار الأندلس للطباعة والنشر – بيروت ، ١٣٩٣ هــ، ١٩٧٣ ص ٤٤٣ – المقريزي : المواعظ والاعتبار ج ٥ ص ٤٢٩

٩٩) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٤٢٩

١٠٠) Trimingham J . Specer Islam in the Sudan , London ١٩١٤,p.٦٨

١٠١) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٧٤-١٨٢

١٠٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٨٢٠

١٠٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩

١٠٤) توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم – مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ ، ص ٣٩٩

١٠٥) المرجع السابق : ص ٣٦٦

١٠٦) سورة التكوير ، الأية ٨

١٠٧) ادولــف ارمـــان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ومحمد أنور مكتبة مصطفي الحلبي ، مصر ، ص ١٨

١٠٨) بوركهارت : رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص ١٢٦

١٠٩) المصدر السابق : ص ١٢٦

١١٠) المصدر السابق ، ص ١٢٦

١١١) مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ص ١٣٣

١١٢) بوركهارت / رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص ٢٦٨

١١٣) أحمد الحاج وآخرون ،من معالم تاريخ الإسلام في السودان جماعة الفكر والثقافة الإسلامية الخرطوم مرجع سابق ص ٩٨

١١٤) علـــي زيـــن العابدين ، فن صياغة الحلي الشعبية النوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨١م ، ص ٨٧

١١٥) بوركهارت ، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص ١٢٦

١١٦) علي زين العابدين ، فن صياغة الحلي الشعبية النوبية ، ص ٨١

١١٧) مصطفي مسعد / الإسلام والنوبة ص ١٦٠

١١٨) جونتانـــي فانتينـــي تـــاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة ، الخرطوم ١٩٧٠ ص ٢٠٠

١١٩) المرجع السابق ص ٢٠٠

١٢٠) عبدالله عبدالرحمن الأمين الضرير : العربية في السودان ج ١ دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٧ ص ١٣

١٢١) المرجع السابق ص ١٣

١٢٢) بوركهارت رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص ١٢٤

١٢٣) القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٥ ص ٢٧

١٢٤) بوركهارت : رحلات بوركهارت ص ١٢٤

١٢٥) المصدر السابق ص ١٢٣

١٢٦) عبدالله عبدالرحمن الأمين ، العربية في السودان ، ص ٢٢

١٢٧) ابـــن مـــنظور لسان العرب ، دار لسان العرب ، بيروت (بدون تاريخ) مج ١ ص ١٢٤٠

١٢٨) المصدر السابق : مج ٣ ، ص ٦٩٨

١٢٩) المصدر السابق : مج ٣ ص ٦٩٨

١٣٠) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :

علي زين العابدين : فن صياغة الحلي الشعبية النوبية ص ٨١

عبدالله عبدالرحمن الأمين العربية في السودان ص ٢٥ ومابعدها

١٣١) يوســـف فضل حسن : الشلوخ (أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل) دارجامعة الخرطوم للنشر الخروم ، ١٩٧٦ ص ٩

١٣٢) ابن منظور : لسان العرب ج٣ ، ص ٣ الزبيدي : تاريخ العروس دار مكتبة الحياة بدونم تاريخ ج ص ص ٢٦٤

١٣٣) الزبيدي المصدر السابق ص ٢٦٤

١٣٤) عون الشريف قاسم : قاموس اللهجة السودانية العامية في السودان المكتب المصري الحديث القاهرة ١٤٠٥، ، ١٩٨٢ ص ٦٢٧

١٣٥) يوسف فضل حسن الشلوخ ص ٤٥

١٣٦) المرجع السابق ص ٤٥

١٣٧) المرجع السابق ص ٤٨

١٣٨) المرجع السابق صث ٥٩

١٣٩) عباس محمد مالك العرب العباسيون في بلاد السودان ، دار الطابع العربـــي بحـــري ١٩٨٧ ص ٢٣٩ ومابعدها انظر كذلك عطية القوصي تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ص ١٤٦ - ١٤٧

i